

أهمية الحفاظ على تراث وأثار حضارة العراق القديم

د. خمايل شاكر ابو خضرير

كلية التربية الأساسية

الجامعة المستنصرية

بغداد - العراق

الملخص

يمتلك بلدنا مخزون تراثي ، وأثاري ، وعمراني ضخم يمثل ذاكرة الأمة ، ويعانى هذا المخزون من العديد من المشاكل لأسباب عديدة منها ضعف القدرات المادية للدول أو عدم قدرة سياسات الحفاظ المتبعة على التعامل مع الواقع بكل مشاكله وتعقيداته أو عدم وجود وعي جماهيري بأهمية التراث وضرورة المحافظة عليه وإحيائه..... وتكون المشكلة البحثية في تعاظم أهمية الحفاظ على التراث المعماري وال عمراني في ظل متغيرات العصر والتوجه نحو العولمة باعتباره ركيزة أساسية من ركائز العمق الحضاري والهوية وداعماً لقيم المجتمعية وفي نفس الوقت ضعف وقصور أداء سياسات الحفاظ التي لا تتجاوز مفهوم أن التراث مناطق أو مبانٍ يجب المحافظة عليها من خلال رؤية متحفية لها، وبالتالي كان لابد من البحث في كيفية صياغة مفاهيم جديدة لعملية الحفاظ على التراث المعماري وال عمراني في عالمنا اليوم ، تتوافق مع التوجهات الجديدة وتحوله إلى قوة مؤثرة في حركة تنمية وتطور المجتمع متجاوزاً دوره التقليدي حتى يصبح مصدراً وباعثاً لإبداعات المعماريين ومرجعية لأفكارهم ونتائجهم مما يمكن المجتمعات من مواجهة خطر ذوبان الهوية وندعيم العلاقة بين الاطراف الثلاثة :المعماري- المجتمع -التراث.

The Importance of Preserving the Heritage and Effects of Ancient Iraq's Civilization

Dr.Khamale Shakeer Abu khudair

ABSTRACT

Our country possesses a huge architectural and architectural heritage stock that represents the memory of the nation, and this stock suffers from many problems for many reasons including the weakness of the material capabilities of states or the inability of the policies of preservation to deal with the reality with all its problems and complexities or lack of public awareness of the importance of heritage and the necessity Maintaining it and reviving it The research problem lies in the increasing importance of preserving the architectural and urban heritage in light of the changes of the times and the trend towards globalization as a fundamental pillar of civilizational depth and identity and support for societal values and at the same time the weakness and underperformance of conservation policies that do not exceed the concept that heritage Areas or buildings to be preserved through a museum view. Therefore, it was necessary to research how to formulate new concepts for the process of preserving the architectural and urban heritage in today's world, in line with the new trends and turning it into an influential force in the movement of the development and development of society beyond its traditional role to become a source and source of creativity of architects and reference Their ideas and output enable societies to face the danger of identity thaw and strengthen the relationship between the three parties: architecture, society and heritage.

المقدمة :

يضم بلدنا العديد من الأبنية والمعالم الحضارية ذات التاريخ الطويل والذي يعود الى فترات متعددة من تاريخ العراق، والتي تحمل في طياتها قيم ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتراث هذا البلد ، فمن المعروف أن إعادة ترميم الأبنية الأثرية والتراشة لهذه المبني ذات أهمية كبيرة خاصة أنها تحمل من قيم فنية وجمالية وتاريخية وحضارية ، وربما تكون بعض هذه المبني خالية من الزخارف والكتابات والنقوش ولكنها تعبر من خلال عمارتها وأسلوب بنائها عن معانٍ وقيم علمية وجمالية والهدف من ترميمها وهو الكشف عن تلك القيم وحمايتها خاصة أنها تعد ثروة حضارية وثقافية لبلدنا لأنها تعد المرأة الحقيقة التي تعكس حضارة وتراث العراق المتوازى عبر هذه السنين الطويلة ، فضلاً عن ذلك أنها تعكس هوية الأمة لا سيما ، ونحن نعيش هذه الأيام مشكلات التراث والهوية في بلادنا العربية ؛ لذلك يجب علينا المحافظة عليها وإظهار قيمتها العلمية والحضارية وذلك من خلال تكاثف الجهود لبيان ليس قيمتها الدينية فحسب وإنما القيمة الحضارية والعلمية من أجل النهوض بالواقع الأثري والتراشى للمبني الحضاري ، كما هو الحال في باقى دول العالم التي تسعى بشتى الطرق لإبراز هويتها وحضارتها من خلال اهتمامها بتراصها القديم ، من أجل ذلك نعمل على تقديم بحث نوضح فيه ما يأتي

أولاً : أهمية الحفاظ على تراث وآثار العراق ليس من قبل المتخصصين فحسب ، بل على مستوى الفئات المتعددة من خلال نشر الوعي الثقافي وبيان أهمية هذا التراث وضرورة التكافل بين الهيئات الحكومية والمدنية لإعادة ترميم وبناء المدن والمواقع الأثرية لأهميتها في الموروث الحضاري والتاريخي للعراق.

ثانياً: إبراز الإشكاليات التي تواجه سبل الحفاظ على التراث وإيجاد الحلول الوقائية لها.

ثالثاً: إبراز دور وسائل الإعلام والجهات التربوية من أجل النهوض بواقع العمل الجماعي والسعى لإنجاح عملية الترميم والحفاظ على الآثار والتراث ومحاولة التصدي لظواهر العولمة والحداثة.

أولاً : أهمية التراث والغاية من الحفاظ عليه:

إن تعريف التراث مصطلح واسع ويمثل الخصوصية الإنسانية المعنوية أو الروحانية المتضامنة والمقاعدة مع الوظيفة ، ومن نتائجها يمتلك العمران الحضاري المقياس الإنساني بأبعاد متكاملة ويكتسب خاصية بعد الحضاري ، والمقصود بعبارة العمران الحضاري هو المفهوم الذي نطلبه ويقترب باستمرارية التراث في التصميم والخطيط الحاضر

(¹) كما إن كلمة التراث تعني الشيء المتوازى عبر الأجيال وهي كلمة واسعة المعنى ولكنها تعني الأهمية الاجتماعية أو الحضارية أو السياسية أو الدينية للشيء المتوازى.⁽²⁾

ومن هنا نستطيع ان نعرف التراث على انه ذلك التراث المعرفي المتوازى غير المحدود الزاخر بالقيم الطيبة والتقاليد النبيلة والسجايا الراقية ، قادر على البقاء أبداً الدهر متى ما كان الوعي به قائمًا بالرغم من التطور الحاصل على مختلف الأصعدة ، والآثار هي الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما تركه الإنسان على فترة من الزمن⁽³⁾ والتراث المعماري العربي والإسلامي يعتبر في واقعه التارخي بمثابة الإنجاز الحضاري الذي ييلو لنا إلى حد كبير، ملامح الشخصية الحضارية الإسلامية في عصورها الظاهرة ، إذ حمل هذا التراث في مفراداته بصمات الحياة لهذه الشخصية المتميزة في كل مناحي الحياة. ومن ثم فإن ضياع الملامح البارزة لهذا التراث المعماري إنما يفجر في النفس مكامن الحزن الدفين تجاه فقدان هذه الملامح الحضارية التي كانت يوماً ما بارزة بروز الشمس في وضح النهار، كتراث معماري قد جسد معالم الرؤية الإسلامية في مجال حصب، يُعد ولا ريب من أخصب مجالات الحياة، إلا وهو مجال العمارة وتراثها، وهذا من منطلق أن العمارة هي معيار الحضارة⁽⁴⁾.

وأن التطور والتجدد العماني الذي يحدث في بيئتنا منذ عدة عقود، هو من الشواهد على طبيعة حركة التحضر والتحديث والنمو الحضري السائد في مجتمعاتنا، فالحركة العمانيّة والحضريّة تشهد انتعاشًا لا سابق لها ، ولا مثيل لها من قبل ، وتحدث بوتيرة متتسارعة الخطى ، إلا أن السؤال الذي يرد ويختصر على البال ، هو عما هي أبعاد هذا النمو الحضري والمدني ، وما انعكاسات هذا التحديث والتحضر على البيئة الاجتماعية والحياتية ؟ وهل تؤدي هذه الحركة التنموية إلى العبث بتراث المكان، ومحو تاريخه ، وتحويله إلى مجرد أطلال خاوية ، أو تدميرها وتحويلها إلى هشيم مكدس فوق بعضه ؟

ومن المهم أن نتساءل في ظل العولمة ، وزمن التقدم الصناعي والتكنولوجي وعهد المعلوماتية والفضاء المفتوح، لماذا كل هذا النزوح نحو اهمال التراث، والجري خلف أضواء المدينة المعاصرة، والأعمار العشوائي والهش، الذي لا يحترم المكان وتاريخه وروحه، ولا يقدر التراث الموروث، ولا يحترم البيئة المناخية التي ينمو هذا الأعمار بين أرجائها وجنابها، بالإضافة إلى عدم احترام نوعية الحياة السائدة فيها، وتجاوز قيم البيئة المحلية، والعمل على بعثرتها وتدويبها وإزالتها ومحوها، في الوقت الذي لا يتم فيها الإيفاء بمتطلبات التنمية المستدامة، أو الاهتمام بجودة الحياة المعيشية، وبمستوى نوعيتها؟

انه لمن المهم التمسك بالتراث بشكل عام والمدن الواقع الاثارية بشكل خاص، كما يقول الخبير المتخصص في التراث العمراني والعلمية الاقتصادية "الدكتور وليد أحمد السيد"⁽⁵⁾ أن أهمية التراث لا تتبع فقط من كونه الوعاء "الناقل" للحضارة عبر الأجيال، بل يقترب بموضوع الهوية كونهما من تجليات وإفرازات الثقافة المحلية والإقليمية، لافتاً إلى أهمية التراث كمعطى "حركي" ناقل للحضارة والثقافة المحلية والإقليمية والمعبر عن المراحل التي تعاقبت على ذاكرة وتاريخ الأمة، مؤكداً أن الدعوة لمحوها هي أشبه بن يمحو الجينات البنوية لكان عضوي يحمل تاريخاً وحضاراً وذاكرة تتضمن العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية والخبرات المتناقلة التي مرت بالأجيال من السلف إلى الخلف، فالدعوة لتجاوزها ومحوها هي دعوات مغرضة ترمي بالأمة في أحضان "الآخر" الثقافية وتحضرنا هنا مقوله الشاعر العربي أبو يعلى المعربي الذي يشير في أبياته على أهمية التراث الحضاري للأمة في بعض من أبياته وهي⁽⁶⁾ :

مررت برسم في شيلات فراعني به زجل الأحجار تحت المعاول
أنتلها شلت يمينك خلها لمعتبر أو زائر أو مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم أرى أحلى من حديث المنازل

إن الرسالة التراثية والأثرية المتمثلة في الاعتقاد من الأمم التي سبقتنا والاطلاع للاستفادة من التجارب المعمارية والعمرانية والحضارية أو للدارس في شتى شؤون الحياة يتعلم منها الكثير، ونحن في عصرنا الحاضر نستلهمن منها عبق الماضي، كما أنها نافذة نظر عليها ويطل علينا ويزورنا على ماضينا وحاضرنا به وعصر نعيشه ومستقبل نعمل من أجل حياة أفضل له وللأجيال التي ستعيشه وكلما يقال "من لا ماضي له لا مستقبل له".

وقد أشار العديد من المعماريين إلى أهمية التراث فيشير المعماري العراقي رفعت الجادرجي⁽⁷⁾ إلى "أن التراث هو الرصيد والمخزون المتميز الذي يتميز بالثبات والاستمرارية معاً، ويجمع بين القيمة الروحية والجمالية بالإضافة إلى كونه حقيقة مادية ملموسة فرضت قبولها واحترامها لكونها تسجلاً صادقاً لثقافة المجتمع ووحدة منهجه وملامحه الإنسانية الفكرية عبر العصور ، فهو تعبر عن أسلوب ومنهج التعامل مع المحیط وضوابط الماديات خلال فترات متباينة الظروف ، وبالتالي فهو ضرورة للثبات والاستمرارية" ، هنا تعنى أن الوجود المادي المتمثل في العمارة والعمران ارتفى من خلال ما يجمع من ملامح وقدرات وإمكانات تمكنه من الاستجابة لاحتياجات الأفراد والجماعات وتجسد قيمهم ورموزهم إلى أن يصبح تعبيراً متجدداً بالرغم من ثباته عن المجتمع والبيئة بمعنى آخر أن يصبح التراث واقعاً وتسجيلاً حياً لثقافة المجتمع ورثتنا من أركانها.

لذا فإن التطور والتقدم السريع في الحفاظ على التراث الإنساني والحضاري والتطور في مفردات المواد التي تتعامل مع هذا التراث المقدس تؤدي إلى ضرورة تطور المفهوم العالمي لترميم وصيانة هذا التراث والحفاظ عليه ، وان مجال صيانة وترميم الآثار الإسلامية لا يعتمد فقط على المهارة اليدوية والخبرة الفنية فحسب ، بل يعتمد على العلوم التكنولوجية والتي تكشف لنا ما في باطن الأرض حتى تكون قادرین على صيانته وترميمه⁽⁸⁾ وان التراث يعبر في حقيقة الأمر عن استمرارية ثقافية على مدى واسع في مجالى الزمان والمكان ، تتبدى من خلالها ((تشكلات تقنية متنوعة في إطار الثقافة الكلية)) ، فإن الآثار والمعالم التاريخية وفن العمارة والتراث الشعبي تكتسب أهمية خاصة بين مركبات التراث ، بحيث يضحي الحديث عن التراث دونها قاصرًا ، فالآثار هي الجانب المادي من التراث⁽⁹⁾ ، وتمثل شواهد ملموسة لصراع الإنسان مع بيئته وتدلل على مقدار الجهد الذي بذله

لتسيير تلك البيئة لخدمته ، والآثار هي في الواقع التراث الحضاري أو الممتلكات الحضارية أو الموارد الحضارية التي هي تجسيد حالي للماضي البشري كما يتجلّى في الواقع والمنشآت والأطلال التي لها قيمة أثرية أو تاريخية أو دينية أو حضارية أو جمالية ، وتحتل الآثار المرتبة الأولى بين مصادر التاريخ ، فهي الصورة المادية الملموسة التي خلفها لنا مجتمع ذلك البلد أو الأقوام والبلدان التي كانت على تماس به⁽¹⁰⁾.

ولذا فإننا في حاجة ماسة إلى جهود وثابة تنادي بضرورة العودة إلى المنابع الأصلية التي استلهمت منها ملامح تراثنا المعماري الإسلامي، إبان عصور تلك حضارتنا. وفي الواقع هي منابع ثرة فياضة يقف على قدمتها الدين الإسلامي الخالد، بما قدمه من رؤية صادقة لتنظيم الهيكل العام والخاص للحياة الإسلامية.

ولذا ينبغي أن يكون المنطلق الحافز للتجديد الحضاري في هذا المنحى هو موقع التراث المعماري الإسلامي بين قطبي التحدي والاستجابة وذلك لأن امتننا الإسلامية تواجه تحديات حضارية شرسة في عصرها الراهن. وهنا يمكن أن نجمل أهم الأسباب التي تدفعنا إلى محاولة السعي بكل الطرق لحفظه على التراث الإسلامي للעתبات المقدسة هي⁽¹¹⁾

- 1- أن هذا التراث يعدّ مصدراً من مصادر المعرفة
- 2 - أنه يعد مصدراً مهمًا للثقافة المحلية ويعزز دورها في الحياة العصرية
- 3- أنه يحمل في طياته الدروس وال عبر ، لذلك لا بد من إدراك الماضي وفهمه
- 4- أنه يمثل هوية المجتمعات البشرية
- 5- أنه يحمل قيم ورسائل مختلفة (دينية، وتاريخية، واجتماعية، وروحية وفنية)
- 6- أنه مصدرًا من مصادر الدخل القومي بما له علاقة بالجذب السياحي، فضلاً عن كونه مصدرًا من مصادر إيجاد فرص العمل
- 7- أن التراث يربط الحاضر بالماضي
- 8- أنه يمثل تفاصيل الناس مع بيئتهم، حيث تؤثر العادات والتقاليد الاجتماعية على هذا التراث.
- 9- تحيط بمعظم الواقع الأثري ذات التاريخ الإسلامي الأسواق التجارية وبعض الورش المتخصصة في الحرفة التقليدية والتي تعتبر امتداداً لمجالات الحرف التراثية من نجارة وتطعيم وطرق نحاس وخiamية وسجاد والسجّاد وخفاف وزجاج معشق بالجليس بما يساعد على تأكيد البراعة في القيام بذلك المهن الفنية بالعصر الإسلامي.

ثانياً : إشكاليات الحفاظ على التراث:

من الإشكاليات التي تواجه عمليات الترميم والحفاظ على الواقع الأثري والتراصي يمكن أن نجملها بما هو آن⁽¹²⁾

- 1- تكمن المشكلة في تعاظم أهمية الحفاظ على التراث المعماري والعربي في ظل متغيرات العصر والتوجه نحو العولمة ، باعتباره ركيزة أساسية من ركائز العمق الحضاري والهوية وداعماً لقيم المجتمعية ، وفي الوقت نفسه ضعف وقصور أداء سياسات الحفاظ للجهات المختصة التي لا تتجاوز مفهوم أن التراث مناطق أو مبانٍ يجب المحافظة عليها من خلال رؤية متحفية لها، وبالتالي كان لا بد من البحث في كيفية صياغة مفاهيم جديدة لعملية الحفاظ على التراث المعماري والعربي في عالمنا الإسلامي تتوافق مع التوجهات الجديدة وتحوله إلى قوة مؤثرة في حركة التنمية وتطور المجتمع ، متجاوزاً دوره التقليدي حتى يصبح مصدراً وباعثاً لإبداعات المعماريين ومرجعية لأفكارهم ونتاجهم ، مما يمكن المجتمعات الإسلامية من مواجهة خطر ذوبان الهوية وتدعيم العلاقة بين الأطراف الثلاثة : المعماري – المجتمع - التراث.

2- مسؤولية الحفاظ على التراث المعماري بدايةً على من تقع:

أن مشكلة عدم تحديد من تقع عليه مسؤولية الحفاظ على التراث الحضاري والثقافي بشكل عام بمختلف فروعه ستقود إلى تشتيت القوى والى عدم إعطاء النتائج العملية الصحيحة المتخصصة ، وعلى هذا الأساس فإن عملية الحفاظ المعماري والحضاري تحتاج إلى فريق من المتخصصين من أثريين ومؤرخين ومهندسين ومصوريين وتقنيين ، وربما الناشطين والعمال المهرة (العمالة) في مجال الحفاظ على التراث والآثار ، ويكون المسؤول عن هذا الفريق المهندس المعماري (معماري مصمم لإدارة التراث ، معماري مرمم) ولعل هذه المسئولية هي الإشكالية المهمة لدى الجهات المعنية في أي دولة ، وفي اعتقادنا بدونها ستؤدي إلى إعاقة عملية الحفاظ على التراث المعماري والى عدم إعطاء النتائج العملية الصحيحة⁽¹³⁾.

3. علاقة الأثري والمعماري والمؤرخ بعملية الحفاظ على التراث المعماري:

أن غالبية الذين قاموا بعملية التاريخ للعمارة العربية القديمة والإسلامية في الماضي والحاضر هم من الأثريين أو من دارسي الآداب والتاريخ ، ويبدو أن هناك نقص واضح في عدد المعماريين المتخصصين في تاريخ الحضارة والعمارة القديمة والإسلامية ، في حين نجد في الجامعات الأوروبية أنها تقدن تخصصات عديدة في تاريخ العمارة سواء التقليدية منها أو الحديثة ، فكيف هو حال التراث الذي يحمل لنا في طياته هوية الأمة العربية ، لذا وجب توجيه اهتمام أكبر إلى هذا الجانب من أجل الحفاظ على ماهية العمارة الإسلامية⁽¹⁴⁾.

فضلاً عن ذلك يجب أن نلاحظ إن عملية الحفاظ على المعلم والمدن الاثارية ليست بالعملية السهلة فهي عملية معقدة أكثر من عملية الحفاظ على غيرها من أنماط التراث الثقافي والترميم الوقائي فيها أصعب لأن المدن والمعلمات التاريخية في بيئه مفتوحة فقد يتم تطبيق الترميم على الأجزاء الداخلية من المبني وعلى مقتنياتها وذلك بمراقبة عوامل التلف الجوية داخلها مثل الحرارة والرطوبة والغبار وكذلك فهناك متغير الحفاظ الإنساني على المبني الذي يتطلب متخصصين ففي فهم تلف ومعالجة الإنشاءات القديمة المبنية بالطين أو الحجر أو مواد أخرى⁽¹⁵⁾.

4- دراسة الآثار القديمة:

إن الرغبة في التتحقق من النصوص والكتب المقدسة ، بالغتور على آثار المدن والموقع الاثارية ، قد دفعت علماء الآثار للاهتمام بالتاريخ القديم لبلاد الرافدين . فلم تكن الحضارات الكبرى معروفة حتى حينها إلا بنصوص أسطورية ، وبعد الاكتشافات ظهر غنى تلك الفترة وبدأ الجميع بالبحث ، وكان علماء الآثار لفترة طويلة لا يهتمون بالمعلم والآثار القديمة حيث اعتقدوا أن ما وصلهم من نصوص هو كاف.

ويتأسف المرء لفلة الدراسات حول بلاد كان له أهمية عظى في الفرات الأولى . فيما عدا موقع بابل واشور واور ، وبعض المعلمات التي تعود بتاريخها إلى العصور الإسلامية ولا سيما تلك التي تعود إلى العهد العباسي والمتمثلة في سامراء ، وبغداد ، وواسط ، فلم تكن أية مؤلفات موجودة قطعاً، غالباً، الأبنية الهامة هي التي درست مثل دار العمارة في الكوفة والمسجد الكبير في واسط وقصر الأخيضر والمقابر القديمة وهناك مجالات أخرى لم تدرس، مثل الهندسة الخدمية . ونادرًا ما كانت الأبنية المتواضعة أو المقابر البسيطة تستهدف للتنقيب، وكذلك كانت الدراسات على الخزف الذي يُعد الأهم في أعمال الآثار . وهذا أيضاً كانوا يهتمون بالمرركش أكثر وبالذى تمت المحافظة عليه . وهناك دراسة على الخزف المتعارف عليه حيث يسمح لنا بالتعرف على الحياة اليومية والعلاقات التجارية بين المناطق.

إن صعوبة الوصول إلى الوثائق يشل العمل ، وهناك عدد من الأعمال التي لم تنشر بشكل كامل أو لم تنشر بعد . ومن المؤسف أن ندرك قلة الاهتمام بين علماء الآثار الأجانب والعربيين على السواء . لم تكن الأساليب المتتبعة هي ذاتها، والأهداف أيضًا كانت مختلفة . إن علم الآثار الوطنية في العراق يحوم حول ما هو ساطع . قسم كبير من الأعمال يهدف إلى تقييم إرث الآثار، وليس الحفريات إلا تمهيد للترميم . وفي النهاية، فإن المسؤول عن هذه الأعمال هو الرغبة في تطوير السياحة⁽¹⁶⁾.

5- شرح التراث والتوعية به⁽¹⁷⁾:

أن ضعف الوعي التراشي لدى الناس وجه لهم به سبب رئيسي من أسباب اندثاره وضياع الكثير من عناصره ، ولهذا يجب أن نعمل على تعزيز الوعي بالتراث حتى نوحد الصلة بين المواطن وتراثه ليقوم عن قناعة وإدراك بالحفاظ عليه والدفاع عنه . وبدون تفسير التراث للناس وتوعيتهم بأهميته لا يمكن أن تتحقق معاقة الحفاظ لديهم : وهي أن وعي المواطن بحماية التراث هي حماية لذاته وهويته . وهي معاقة تبدو عليها سمة المثالية ، ولكن هكذا ينبغي أن نفهم التراث ، أن يؤمن الناس بأن الحفاظ عليه هو من " الصالح العام " وأنه على كل مواطن أن يسهم بما يقر عليه لخدمة الصالح العام ، ويجب أن يصل الوعي بالمواطن العادي إلى الشعور بأن المحافظة على التراث الوطني هو محافظة على تاريخه هو.

ثالثاً: التوصيات ووسائل الحفاظ على التراث:

من المهم التأكيد على أن موضوع حماية التراث والبيئة ليس ترفاً فكريّاً، وإنما هو واجب وطني يجب الوفاء به، وإن لا يكون الاهتمام بهذه القضايا مجرد اهتماماً موسمياً سطحياً، بل من المهم أن يكون اهتماماً فعلياً وفعلاً، تؤسس له الأطر المؤسسية الرسمية والأهلية، كما التشريعات المتكاملة والآليات المتقدمة، وكل ذلك يصب في تنمية الإنسان ويحسّن مستوى حياته، وتوفّر كافة الظروف الضرورية ذات العلاقة بمتطلبات الارتفاع به وبمستواه، وتضمن له الاستقرار والحياة الكريمة، وتترفع من جودة ونوعية معيشته.

ويمكن أيضاً تخليد التراث العمراني وبشكل خاص للعتبات المقدسة من خلال تنظيم مختلف المعارض، مثل معارض الصور القيمة والنادرة التي التقطتها عدسات المصورين في حقب سابقة، والتي تؤرخ لهذا التراث وهذه الآثار حسب سنوات التقاطها، ومن ثم مقارنتها بالواقع الحاضر، لاكتشاف مدى التغيرات والتتحولات التي حدثت وطرأت على طبيعة المنطقة، وانعكاسات وأثار وتأثيرات حركة التحديث والنمو العمراني والصناعي على تراث وبيئة هذه المنطقة.

إن بذل الجهود للحفاظ على التراث لن تتحقق أهدافها وتتوّتي أكلها، إلا من خلال القيام بجهود مضاعفة من أجل نشر الوعي بقيمة التراث، والقيام بجهود تificية لتشكيل قاعدة اجتماعية تحضن فكرة الاهتمام بالتراث والأثار والاهتمام بها، والعمل على ترسیخ قيمتها في أذهان مختلف الأطياف والطبقات الاجتماعية، وإحداث نقلة نوعية في نظرية الناس للتراث من خلال إبراز قيمته التاريخية، وإبراز مساهمات الآباء والأجداد وكفاحهم في تأسيسه وبنائه، وهو الأمر الذي يستدعي إعادة الاعتبار للتراث، وعدم اعتباره مجرد ترف ولهو ليس له قيمة.

ويجب إعادة النظر في مناهج التعليم المعماري بحيث يتمكن الطالب من استيعاب روح الإسلام منطبقاً على مدنه وعمارته، وتطبيقه من خلال مشروعات تعليمية ليكتسب القدرة على تطبيق هذا الفكر في الواقع العملي بعد التخرج. كما يجب الإسراع باستكمال الدراسات المنهجية الأكademie لتصنيف الثوابت التراثية وتحليلها تحليلًا مقارناً ورداً إلى أسبابها وتطور الأصيل منها ليبقى.

أما عن التصميم المعماري للمسكن فيجب الاهتمام بتصميم الواجهات الخارجية للمنازل وتكسيه الفتحات المطلة على الشوارع الرئيسية والخارجية بزخارف وزينات جمالية تشير إلى الفن القديم الذي يعبر عن الهوية والانتماء التاريخي والحضاري لبلدنا.

ومهما اختلفت وجهات النظر في كيفية صيانة وترميم المبني الأثرية والتاريخية ، فإن عمليات الترميم ليست على أيام حال مجرد عمليات إصلاح لما يتلف من عناصر معمارية، بل هي عمليات ذات طبيعة خاصة لها أصولها وتقاليدها، ولا بد أن تمارس من منطلق الخبرة الواسعة والدرية الكاملة بطبيعة وخصائص النوعيات المختلفة من المبني الأثرية، وإلا فقدت عمليات الترميم الغرض منها، وكم أضعاف الترميم الخاطئ آثاراً نادرة وعنابر أثرية هامة.

وانطلاقاً من هذا لا بد أن تتلاءم وتتنوع عمليات الترميم حسب نوعية وخصائص الحالة المطلوب ترميمها من حيث مادتها وشكلها ومظهرها وسماتها الفنية، وذلك على اعتبار أن المبني الأثري أو التاريخي ليس كياناً مادياً مجرداً من المحتوى الفكري والفكري الحضاري، وهكذا فإن نتائج البحث العلمي في هذا المجال يجب أن ترتبط بالزواجي التificية وأن تكون وسيلة لاستحداث مواد وطرق جديدة للصيانة والترميم ، ولذلك يجب أن تتم أعمال الترميم والصيانة في إطار القواعد الآتية⁽¹⁸⁾:

- 1 - تحديد المواد الداخلة في تركيب المبني الأثري المراد صيانته وترميته.
- 2 - تحديد عوامل التلف السائدة كبداية لدراسة تأثيراتها وكيفية تلافي أخطارها.
- 3 - تحديد نوع التلف ودراسة الظروف التي تواجه فيها أو تأثير بها المبني الأثري.
- 4 - دراسة الأساليب المتتبعة في الصيانة والترميم لاستبعاد المخالف منها وإيقاف العمل به.
- 5 - استحداث والتوصية باستخدام مواد أكثر مقاومة لعوامل التلف في عمليات الصيانة والترميم.
- 6 - تحديد مواصفات المواد الواجب استخدامها في عمليات الصيانة والترميم واستحداث الأساليب المناسبة.
- 7 - دراسة وفحص المنتجات التجارية المستخدمة في الصيانة والترميم للوقوف على مدى ملاءمتها للمواد الداخلة في تركيب المبني.

- ٨- عدم الإفراط في عمليات الترميم والاكتفاء بالقدر الضروري منها لضمان بقاء المبني الأثري^(١٩).
- ٩- عدم البدء في عمليات الصيانة والترميم إلا بعد الدراسة المستفيضة والمعرفة الكافية بخواص وتأثير المواد التي سيجري استخدامها في الصيانة والترميم على المواد الداخلة في تركيب المبني الأثري^(٢٠).
- ١٠- القيام بإعمال توثيق بمشاريع مدونة أو كتاب يحوي بين دفتيره كافة المعالم التراثية مع نبذة تاريخية مختصرة عنها مزودة بالخرائط والرسومات والصور وغيرها.
- ١١- التوعية وتلخيص بتعریف المواطن على أهمية الآثار الثقافية والاقتصادية له ولغيره وانهاز الفرص لإثارة اهتمامه بالتراث الحضاري وإشعاره بالمسؤولية^(٢١).
- ١٢- إشراك المواطنين في تحمل مسؤولية حماية التراث الحضاري الأثري والتراثي لتحسسيهم بالمسؤولية وذلك بإدخالهم ومشاركتهم في اللجان والمؤسسات الحكومية والأهلية الراعية لذلك الأمر ومن الضروري إحداث مؤسسات حكومية أو أهلية لتساعد على توعية المواطنين وشاغلي الأبنية الأثرية والتراثية والاتصال بالجهات الفاعلة في هذا المجال كال المجالس المحلية وسلطات الحكم المحلي أو سلطات الحكم المركزي كالوزارات المختلفة ومجلس النواب وشرح أبعاد قضية التراث وفائدة الشعب والهوية وبالتالي مطالبتها بتخصيص الأموال اللازمة لصيانة تلك المباني وترشيد استخداماتها وإصدار التشريعات الناظمة لذلك^(٢٢).
- ١٣- التوسع في إقامة المتاحف في شتى المناطق ، واعتبار المتحف مدرسة تجسد العلاقة والتفاعل المستمر بين التلميذ وطرف من تراثه ، ويعود منذ الصغر على مشاهدة الآثار ومواد التراث الشعبي وتربيته على معاودة النظر إليها أو الاستماع إلى أصواتها ليكتسب التذوق الفني المطلوب ويتلقى المعرفة التراثية الازمة.
- ١٤- أن الحفاظ على التراث لن يتم دون أن تتولى الدولة مهمة ذلك . وفي الوقت نفسه لن تنجح الأجهزة المعنية في الدولة في أداء هذه المهمة إلا إذا كان الشعب في مجمله يعي بأهمية الحفاظ على تراثه ولن ينحرس الإنلاف للمباني التاريخية والنهب للمواد التراثية إلا إذا انتشر الوعي بين الناس وأصبحت تلك الممارسات من الأمور المنكرة وتصير فاتحة غير مقبولة في المجتمع بحيث يعمل الجميع على الحد من هدم وتشويه الروائع المعمارية والحد من تجارة المواد التراثية وتهريبها ، ويعملون بحماس ومسؤولية مع الجهات المختصة فيما تقوم به برامج ومشروعات تهدف إلى الحفاظ . كما ينبغي أن تكون الجهود التعليمية والتربوية في مجال نشر الوعي التراثي وتنواصل بانتظام ومتتابعة ، حتى تصل إلى إحداث التغيير المطلوب في الرأي العام إن مفهوم التراث مهما أسلينا في الحديث عنه يكتمل دون مفهوم الحفاظ فقيمة التراث الأساسية تكمن في أنه يمثل موروث الأمة وحكمتها وحسها الجماعي وعامل وحدتها الأساسي الذي ورثته من الماضي وبه تستعين على تشكيل وعيها في الحاضر.

الهوماشر

- ^١- كمونة، حيدر عبد الرزاق ، توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن إطار الحفاظ على التراث العماني ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد ٢٢ بـ ٢٠١٠م ، ص ٣.
- ^٢- الجابري، محمد عابد، الحادثة والتراث (دراسات ومناقشات)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩١م)، ص ٢٣.
- ^٣- محمد ، اشرف صالح ، التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ، بحث مقدم إلى مؤسسة النور الثقافية مؤسسة النور للثقافة والإعلام جائزة النور للإبداع ، دوره المفكـر عبد الإله الصانـع ، ٢٠٠٩م.
- ^٤- روسيه ، ماري اوديل ، الآثار الإسلامية في العراق ، ترجمة : نورا اريسيان ، مجلة الآداب الأجنبية ، العدد ٩٣ ، دمشق ، ٢٠١١م، ص ٦٣.
- ^٥- نقلـ عن : الزاكـي ، إبراهـيم ، دورـ المجتمعـ المدنـيـ والـمـؤـسـسـاتـ الأـهـلـيـةـ فيـ الحـفـاظـ عـلـىـ التـرـاثـ ، جـريـدةـ الوـطنـ السـعـودـيـةـ ، الصـفـحةـ الـقـافـيـةـ ، ٢٠١٠م.
- ^٦- أبو يعلى المعربي : هو محمد بن عبد الله بن سليمان أبو المجد التتوخي المعربي، وهو قاض من الشعراء حفيد أخ لأبي العلاء المعربي ولـي القضاء في المـعـرـةـ إـلـيـ أنـ دـخـلـهـ الإـقـرـنـجـ فـانـتـقـلـ إـلـيـ شـيـزـرـ وـتـوـفـيـ بـهـ ، وـكـانـ يـقـضـيـ بـيـنـ النـاسـ عـلـىـ مـذـهـبـ الشـافـعـيـ ، لـهـ دـيـوانـ شـعـرـ وـعـدـةـ رـسـائـلـ ، تـوـفـيـ عـامـ ١١٢٩ـ هـ ٥٢٣ـ مـ ، انـظـرـ: الـزرـكـلـيـ ، خـيرـ الدـينـ ، الـأـعـلـامـ ، (بـيـرـوـتـ: دـارـ الـعـلـمـ لـلـمـلـاـبـيـنـ ، ١٩٨٦ـ مـ) الـمـلـدـ ٦ـ ، صـ ١٥٧ـ ، الصـفـديـ ، صـلاحـ الدـينـ خـليلـ بـنـ أـبـيـكـ تـ ٧٦٤ـ ،

الوافي بالوفيات من التراث والأعلام ، تحقيق: احمد الارناؤوطى وتزكي مصطفى ،(بيروت: دار احياء التراث العربي،2000م)، ج ٣ ، ص ٣٣٤ ، شعث ، شوقي ، المعالم التاريخية في الوطن العربي (وسائل حمايتها وصيانتها وترميمها)، مجلة التراث العربي ، العدد 104 ، ص 292.

٧ - نقلًا عن : أمين ، أمير صالح أحمد ، نحو رؤية لعمليات الحفاظ على التراث لتدعم هوية المجتمعات الإسلامية في عصر العولمة ، بحث مقدم إلى مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع ، مج 2، 2007م، ص 6.

٨ - عبد الوهاب ، محمد فهمي ، دراسات نظرية وعلمية في حقل الفنون الأثرية وطرق ومواد الترميم الحديثة، (القاهرة: د.م، 1985)، ص 45.

^٩- Bardesch, M. D, Terza Mostra Internazional Del Res Tauro monumentale, Milano,2006,p.19.

١٠ - عبد الله ، يوسف محمد ، الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تطبيقه، بحث مقدم إلى مؤتمر اليمن ، نحو مستقبل واعد للسياحة في اليمن ، 2009م.

١١ - الزهران ، عبد الناصر ، تجربة الملكة العربية السعودية في المحافظة على التراث، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة ، <http://www.albabtaincenter.com/>

١٢ - أن هذه الإشكاليات تعتبر واحدة في كل البلدان التي تحاول البحث عن وسائل لترميم و الحفاظ التراث الإسلامي لأنها تتعرض لنفس المشكلات في كل البلدان العربية وهذا جاء بناء على دراسة وتحليل وافية قدمت من قبل الاستاذ عليان ، جمال ، الحفاظ على التراث الثقافي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 322 ، الكويت ، 2005م، ص99؛ باوزير ، محمد بن هاوي، إشكالية الحفاظ على التراث العماني والمعماري التقليدي في اليمن وعلاقة المعماريين والاثريين والمؤرخين بعملية الحفاظ ، مؤتمر الهندسي الثاني ، جامعة عدن / كلية الهندسة ، 2009م، ص120.

١٣ - عليان ، الحفاظ على التراث الثقافي ، ص99-110.

١٤ - القاضي ، شوكت محمد لطفي عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية في مصر (النظرية والتطبيق)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أسipوط / كلية الهندسة - قسم العمارة ، 1998م)، ص98.

١٥ - انظر : باوزير ، إشكالية الحفاظ على التراث العماني ، ص120.

١٦ - روسيه ، الآثار الإسلامية في العراق ، ص60.

١٧ - عبدالله ، الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل التنمية ، ص16-17.

١٨ - شاهين، عبد المعز، ترميم وصيانة المبني الأثري والتاريخية، وزارة الثقافة ، (القاهرة : المجلس الأعلى للآثار المصرية،1994م)، ص208-210.

١٩ - عطية ، أحمد إبراهيم ، حماية وصيانة التراث الأثري ، (دمشق: دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2003م)، ص38.

٢٠ - المصدر نفسه ، ص138-155.

٢١ - شعث ، التراث العربي ، ص299.

٢٢ - شعث ، التراث العربي ، ص299.

المصادر

- ١- أمين ، أمير صالح أحمد ، نحو رؤية لعمليات الحفاظ على التراث لتدعم هوية المجتمعات الإسلامية في عصر العولمة، بحث مقدم إلى مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع ، مج 2، 2007م.
- ٢- باوزير ، محمد بن هاوي، إشكالية الحفاظ على التراث العماني والمعماري التقليدي في اليمن وعلاقة المعماريين والاثريين والمؤرخين بعملية الحفاظ ، مؤتمر الهندسي الثاني ، جامعة عدن / كلية الهندسة ، 2009م.
- ٣- الجابري، محمد عابد، الحداثة والتراث (دراسات ومناقشات)،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 1991م)
- ٤- روسيه،Mariy Aoudia ، الآثار الإسلامية في العراق ، ترجمة : نورا اريبيان ، مجلة الأدب الأجنبية ، العدد 93،دمشق ،2011م.
- ٥- الزاكى ، إبراهيم ، دور المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية في الحفاظ على التراث، جريدة الوطن السعودية، الصفحة الثقافية،2010م

- 6- : الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، (بيروت : دار العلم للملايين، 1986م)
- 7- الزهران ، عبد الناصر ، تجربة الملكة العربية السعودية في المحافظة على التراث، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والتقاليف ، <http://www.albabtaincenter.com>
- 8- شاهين، عبد المعز، ترميم وصيانة المباني الأثرية والتاريخية، وزارة الثقافة ، (القاهرة : المجلس الأعلى للآثار المصرية، 1994م)
- 9- شعث ، شوقي ، المعالم التاريخية في الوطن العربي (وسائل حمايتها وصيانتها وترميمها) ، مجلة التراث العربي ، العدد 104، د.ت.
- 10- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك ت 764هـ ، الوفي بالوفيات من التراجم والأعلام ، تحقيق: احمد الارناؤوطى وتزكي مصطفى ،(بيروت: دار احياء التراث العربي،2000م)
- 11- عبد الله ، يوسف محمد ، الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تعميمه، بحث مقدم الى مؤتمر اليمن ، نحو مستقبل واعد للسياحة في اليمن ، 2009م
- 12- عطية ، أحمد إبراهيم ، حماية وصيانة التراث الأثري ، (دمشق: دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2003م)
- 13- عبد الوهاب، محمد فهمي ، دراسات نظرية وعلمية في حقل الفنون الأثرية وطرق ومواد الترميم الحديثة، (القاهرة: د.م، 1985)
- 14- عليان ، جمال ، الحفاظ على التراث الثقافي ، مجلة المعرفة ، العدد 322، (الكويت : 2005م)
- 15- القاضي ، شوكت محمد لطفي عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية في مصر (النظرية والتطبيق) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أسipot / كلية الهندسة - قسم العمارة ، 1998م
- 16- كمونة ، حيدر عبد الرزاق ، توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن إطار الحفاظ على التراث العثماني، مجلة المخطط والتنمية ، العدد 22 (بغداد، 2010م).
- 17- محمد ، اشرف صالح، التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ، بحث مقدم إلى مؤسسة النور الثقافية مؤسسة النور للثقافة والإعلام جائزة النور للإبداع ، دور المفكر عبد الإله الصائغ، ٢٠٠٩م.
- 18- Bardesch, M. D, Terza Mostra Internazional Del Res
- 19- Tauro monumentale, Milano,2006.